بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الرابع عشر **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:28\9\2021م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

ما زال الكلام في الآية الخامسة، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿أولئك عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]

في الوقفة الرابعة مع هذه الآية نتكلم عن موجب هذه الهداية، هناك كلام للفخر الرازي في هذه الآية الواردة في سورة البقرة[2]؛ لأنها مشابهة، بل هي عين هذه الآية في الألفاظ، فيقول هناك: بأن موجب هذه الهداية، هو تمسك هؤلاء بالدليل؛ لأنهم تمسكوا بالدليل، فكانوا على هدى من ربهم، وكانوا من المفلحين، وعموماً عند فخر الرازي الرجوع إلى الدليل والبرهان هو موجب الهداية.

هذا الكلام لا بد من تحقيقه، عن أي هداية نتكلم في هذه الآية المباركة؟ هذه الآية بشكل واضح وصريح نسبة الهداية إلى رب هؤلاء ﴿عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فالهداية معطاة من الله، تارة نتكلم عن الكشف عن حقيقة، هذا النوع من الهداية، ومرتبة من الهداية، وأخرى نتكلم عن إيصال إلى المطلوب، وهذه قمة مراتب الهداية، وهذا النوع من الهداية في الآيات القرآنية ينحصر بالله تبارك وتعالى، وإلا فالكثير من الناس يقام عندهم الدليل، ولكن لا يصدق عليهم أولئك هم المهتدون، ولا يصدق عليهم ﴿أولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ولا يصدق أنهم ﴿عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فإن أولئك الذين تتحدث عنهم الآية الشريفة ﴿وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْهاأَنْفُسُهُم﴾[3] على الرغم من إدراكهم للحقيقة إلا أنهم في مقام العمل أنكروها، فهل هؤلاء على هداية من ربهم ووصلوا للمطلوب! أبداً.

---

[1] لقمان 5

[2] {أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)} البقرة

[3] النمل 14

في آية أخرى في سورة يوسف ﴿وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ﴾[4] تتحدث هذه الآية عن نوع من انواع الإيمان، ذلك الإيمان الذي يكون من خلال ترتيب الأفكار والمفاهيم، هذا النوع من الإيمان قد يلازم الشرك ﴿وَ ما يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَ هُمْ مُشْرِكُونَ﴾ هذا الإيمان المفاهيمي من خلال الاصطلاحات وترتيب المقدمات، هذا لا ينفي الشرك، فهل هؤلاء ﴿عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ليس كذلك.

فإذن مجرد إقامة الدليل والمحافظة عليه، هذا لوحده لا يكفي للوصول إلى المطلوب، بل الوصول إلى المطلوب بحاجة إلى تدرج في كمالات ما، يأتي على رأسها ﴿وَهُمْ بِالآخرة هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بعد هذا الإيقان بالآخرة، (فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ)[5] حينئذ يأخذ الله سبحانه وتعالى بهداية تكوينية لهم بأيديهم ويوصلهم إلى المطلوب، وقد دل على هذا المعنى آيات متعددة، ففي قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَ جَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾[6] هؤلاء ليس فقط ﴿عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بل ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنا﴾ يعني حصلوا على الشيء وأعطوه، ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَ كانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ﴾[7] اليقين له دخل، وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا لولا يكلمنا الله ﴿وَقالَ الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْ لا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾[8] الذين ما عندهم يقين، ما عندهم علم، قالوا: ﴿لَوْ لا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ نحتاج معجزة أو تأتينا آية، أما الله سبحانه وتعالى بنفسه يأتي إلينا من دون توسيط رسول أو تأتينا آية ﴿وَقالَ الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْ لا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتينا آيَةٌ كَذلِكَ قالَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآياتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[9] وفي آية ثالثة ولعلها أوضح في تقسيم الهداية إلى نوعين، ﴿هذا بَصائِرُ لِلنَّاسِ﴾[10] وبهذا القرآن بصائر للناس، مصطلح الناس في القرآن الكريم أعم من المؤمن والكافر ﴿هذا بَصائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[11] فإذن هذه الهداية التي أخذ فيمن تعرض عليه الإيقان واليقين، ليست من نوع مجرد الاستدلال والكشف، بل هي من

---

[4] يوسف 106
[5] نهج البلاغة الخطبة 193
[6] السجدة 24
[7] السجدة 24
[8] البقرة 118
[9] البقرة 118
[10] الجاثية 20
[11] الجاثية 20

نوع الإيصال إلى المطلوب، وفي حديث طويل في الكافي الشريف ومروي بأسانيد متعددة ومعتبرة، بل قيل باستفاضته، بل بالغ البعض ذاهباً إلى القول بتواتره، لكن لا نعتقد بذلك، عندما سئل أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع عَنْ صِفَةِ الْإِسْلَامِ وَ الْإِيمَانِ [بعد أن تكلم في مجموعة من الصفات] فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- شَرَعَ الْإِسْلَامَ وَ سَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ ... فَذَلِكَ الْحَقُّ سَبِيلُهُ الْهُدَى)[12]يعني هذا الإسلام هو الحق سبيله الهدى.

العلامة المجلسي الثاني في شرحه لهذا الخبر في مرآة العقول، يعلق عليه بقوله: أي هذا الدين الحق الذي عرفت فوائده وصفاته سبيله الهدى كما قيل في قوله سبحانه أولئك على هدى من ربهم وكأنه إشارة إليه -يعني الامام عليه السلام يريد أن يشير إلى هذه الآية- والمراد بالهدي الهداية الربانية الموصلة إلى المطلوب.[13] لا مجرد تعليم الناس لا مجرد البيان، وإنما الهداية التي ترتبط بأمر الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[14].

ما نفهمه من هذا التدرج في هذه الآيات الخمسة، هو أن الله سبحانه وتعالى أنزل آياته وكتابه بحكمة متقنة، وهذا الكتاب هو نور ينكشف به الضلال والظلام، ولكن الذي يستفيد منه على حقيقته وكمال الاستفادة هم المحسنون، وهؤلاء المحسنون امتازوا عن غيرهم بمجموعة من الصفات، صفات ترجع إلى أنه من منطلق عبوديتهم لمولاهم التي عبرت عنها إقامة الصلاة، انطلقوا في مجتمعهم ليكونوا من فيوضات الخير والعطاء التي عبرت عنه إيتاء الزكاة، كل ذلك لأجل أنهم تكاملوا ووصلوا إلى مرحلة

---

[12] عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى وَ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ جَمِيعاً عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ يَعْقُوبَ السَّرَّاجِ عَنْ جَابِرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ع وَ بِأَسَانِيدَ مُخْتَلِفَةٍ عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: خَطَبَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ع فِي دَارِهِ أَوْ قَالَ فِي الْقَصْرِ وَ نَحْنُ مُجْتَمِعُونَ ثُمَّ أَمَرَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُتِبَ فِي كِتَابٍ وَ قُرِئَ عَلَى النَّاسِ وَ رَوَى غَيْرُهُ أَنَّ ابْنَ الْكَوَّاءِ سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ع عَنْ صِفَةِ الْإِسْلَامِ وَ الْإِيمَانِ وَ الْكُفْرِ وَ النِّفَاقِ فَقَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى- شَرَعَ الْإِسْلَامَ وَ سَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ وَ أَعَزَّ أَرْكَانَهُ لِمَنْ حَارَبَهُ وَ جَعَلَهُ عِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ وَ سِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَ هُدًى لِمَنِ ائْتَمَّ بِهِ وَ زِينَةً لِمَنْ تَجَلَّلَهُ وَ عُذْراً لِمَنِ انْتَحَلَهُ وَ عُرْوَةً لِمَنِ اعْتَصَمَ بِهِ وَ حَبْلًا لِمَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَ بُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَ نُوراً لِمَنِ اسْتَضَاءَ بِهِ وَ عَوْناً لِمَنِ اسْتَغَاثَ بِهِ وَ شَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَ فَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ وَ عِلْماً لِمَنْ وَعَاهُ وَ حَدِيثاً لِمَنْ رَوَى وَ حُكْماً لِمَنْ قَضَى وَ حِلْماً لِمَنْ جَرَّبَ وَ لِبَاساً لِمَنْ تَدَبَّرَ وَ فَهْماً لِمَنْ تَفَطَّنَ وَ يَقِيناً لِمَنْ عَقَلَ وَ بَصِيرَةً لِمَنْ عَزَمَ وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ وَ عِبْرَةً لِمَنِ اتَّعَظَ وَ نَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ وَ تُؤَدَةً لِمَنْ أَصْلَحَ وَ زُلْفَى لِمَنِ اقْتَرَبَ وَ ثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ وَ رَخَاءً لِمَنْ فَوَّضَ وَ سُبْقَةً لِمَنْ أَحْسَنَ- وَ خَيْراً لِمَنْ سَارَعَ وَ جُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ وَ لِبَاساً لِمَنِ اتَّقَى وَ ظَهِيراً لِمَنْ رَشَدَ وَ كَهْفاً لِمَنْ آمَنَ وَ أَمَنَةً لِمَنْ أَسْلَمَ وَ رَجَاءً لِمَنْ صَدَقَ وَ غِنًى لِمَنْ قَنِعَ فَذَلِكَ الْحَقُّ سَبِيلُهُ الْهُدَى وَ مَأْثُرَتُهُ الْمَجْدُ وَصِفَتُهُ الْحُسْنَى فَهُوَ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ مُشْرِقُ الْمَنَارِ ذَاكِي الْمِصْبَاحِ رَفِيعُ الْغَايَةِ يَسِيرُ الْمِضْمَارِ جَامِعُ الْحَلْبَةِ سَرِيعُ السَّبْقَةِ أَلِيمُ النَّقِمَةِ كَامِلُ الْعُدَّةِ كَرِيمُ الْفُرْسَانِ فَالْإِيمَانُ مِنْهَاجُهُ وَ الصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ وَ الْفِقْهُ مَصَابِيحُهُ وَ الدُّنْيَا مِضْمَارُهُ وَ الْمَوْتُ غَايَتُهُ وَ الْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ وَ الْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ وَ النَّارُ نَقِمَتُهُ وَ التَّقْوَى عُدَّتُهُ وَ الْمُحْسِنُونَ فُرْسَانُهُ فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ وَ بِالصَّالِحَاتِ يُعْمَرُ الْفِقْهُ وَ بِالْفِقْهِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ وَ بِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا وَ بِالدُّنْيَا تَجُوزُ الْقِيَامَةُ وَبِالْقِيَامَةِ تُزْلَفُ الْجَنَّةُ وَ الْجَنَّةُ حَسْرَةُ أَهْلِ النَّارِ وَ النَّارُ مَوْعِظَةُ الْمُتَّقِينَ وَالتَّقْوَى سِنْخُ الْإِيمَانِ.

[13] مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، ج7، ص: 306 فذلك الحق" أي ما وصفت لك من صفة الإسلام حق، أو ذلك إشارة إلى الإسلام، أي فلما كان الإسلام متصفا بتلك الصفات فهو الحق الثابت الذي لا يتغير أو لا يشوبه باطل، أو ذلك هو الحق الذي قال الله تعالى:" أَ فَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمى إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ[13]" و قوله: سبيله الهدى، استيناف بياني أو الحق صفة لاسم الإشارة، و سبيله الهدى خبره أي هذا الدين الحق الذي عرفت فوائده و صفاته سبيله الهدى كما قيل في قوله سبحانه:
" أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ[13]*" و كأنه إشارة إليه أيضا، و المراد بالهدي الهداية الربانية الموصلة إلى المطلوب.

[14] يس 82

الإيقان بالآخرة، وهم في هذه الدنيا في دار الغفلة في هذا الممر في هذا السفر هم شاهدوا هذه الآخرة بحقيقة الشهود، (فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ)[15] هؤلاء لأجل هذه الصفات ولأجل هذا الإيقان بالآخرة الباري سبحانه وتعالى يأخذ بأيديهم فيحفظهم من كل ضلال في هذه الدنيا إلى أن يصلوا إلى الآخرة، فينالوا الفوز والفلاح العظيم، هذه صفحة من صفحات الخلق.

مباشرة الآيات الشريفة تقلب لنا إلى صفحة أخرى كما في سورة البقرة، في سورة البقرة بعد أن انتهت هذه بدأ الحديث عن المنافقين، عن صفحة أخرى من صفحات الخلق، هنا مباشرة بعد أن قال: ﴿أولئك عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[16] قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَها هُزُواً أُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ﴾[17]

فإذا خلاصة المطلب أن هذه الهداية التي تتكلم عنها هذه الآية المباركة، هي هداية من الله خاصة لأوليائه، في سورة الأنعام ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾[18] من يرد الله، هذه الإرادة من الله سبحانه وتعالى لهداية شخص﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ﴾[19] الهداية هي فعل الله تبارك وتعالى، ووسيلتها شرط الصبر وإعداد هذا الإنسان ليتقبل ما يأتي من الله تبارك وتعالى، فيندفع عن صاحب هذا الصدر الضيق، ويندفع الشح، لتأتي آية أخرى فتقول: ﴿ وَ مَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[20] حيث اختتمت الآية بالفلاح، ينحصر الفلاح بهؤلاء.

فإذن لكل الخلق، هناك حركة من الله سبحانه وتعالى، حركة في داخلهم، خلق لهم العقل، وحركة خارجهم أرسل لهم الرسل، هذا للجميع بلا أي استثناء، ﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾[21] هذا لكل الخلق، ولكن هناك حركة خاصة بأوليائه بالمخلصين بالمحسنين، هذه الحركة الخاصة لم تأت من سدى، لا بد لهذا الإنسان أن يتدرج في سلم الكمال، فمن يقترب من الله يقترب الله سبحانه وتعالى

---

[15] نهج البلاغة الخطبة 193
[16] لقمان 5
[17] لقمان 6
[18] الأنعام 125
[19] الأنعام 125
[20] الحشر 9
[21] الإسراء 15

منه، وحينئذ تفاض عليه الألطاف الإلهية، ﴿أولئك عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ جعلنا الله وإياكم من أهل الفلاح والهداية.